علماء الجزائر والأفكار الخارجية
أبوراس الناصري"أنموذجا"

عبو ابراهيم[1]

عرفت الجزائر بثقافتها التقليدية خلال طول الفترة العثمانية بسبب هبوط مستوى التعليم، وانغلاق باب الاجتهاد وجهل الحكام بالأوضاع السائدة العلمية والثقافية كنتيجة لجهلهم بقواعد اللغة العربية وأدبها، وتركزت العلوم خلال هذه الفترة حول بعض التفاسير والحواشي الفقهية والعقائدية والمدائح النبوية والمقطوعات الصوفية.

لقد عرفت هذه الفترة غياب العلوم العقلية، في ظل غياب العلوم الفلسفية والطبيعية، مما أدى إلى غلق باب الاجتهاد،وأتباع ما جاء به الأولون رغم المحاولات المحتشمة التي قام بها بعض العلماء في محاولة منهم لكسر الجمود وتحطيم أغلال التقليد ورفض لكل جديد .

غرق المغرب الأوسط في الجهل والخرافة والتزمت، وسيطرة العقلية الخرافية والطرق الصوفية وهيمنة الدراويش، بل حتى الحركة الوهابية التي حاولت تنقية الحياة الدينية من الخرافات لم تستطيع تحرير الدين من الخرافة، بل ظلت الأوضاع كما وصفها سائح فرنسي:"...خاضعة للجهل الذي كان عاما شاملا مثلها في ذلك مثل سائر البلاد التركية، يشمل الجهل كل طبقاتها، ويتجلى في كل جوانبها الثقافية، من أدب وعلم وفن، والصناعات فيها في أبسط حالاتها، حتى إذا فسدت ساعتك لم تجد من يصلحها، إلا أن يكون أجنبيا"[2].

خلال نهاية القرن الثامن عشر الميلادي،ظهرت مفاهيم جديدة في العالم الإسلامي دقت الأبواب الموصدة بسبب روح العصر الغارق في التعصب الديني ،وظهرت على وجه الخصوص العديد من المفاهيم لم تكن معروفة من قبل،وسرعان ما لفتت انتباه بعض علماء ومفكرين مسلمين في المشرق والمغرب الإسلاميين "و منها مسألة

---

[1] أستاذ: باحث في التاريخ

[2] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة1949م، ص10.

العقل والنقل، القوة الروحية والقوة المادية ،مكانة العلم في الحياة العامة وفي حياة المجتمع"[3].

ظلت الثقافة التقليدية في الجزائر و سائر البلاد الإسلامية تدعو إلى القطيعة الشاملة مع "الكافر و"النصراني" على مستوى السياسي والاقتصادي والتجاري تفاديا للتأثيرات القوية على العالم الإسلامي القادمة من الغرب المسيحي والطارئة على الناس ،وهذا ما كان يدعو إليه صراحة العلماء المغاربة في مقدمتهم السلاوي"صاحب الاستقصا..." ملابسة الفرنج وغيرهم من أهل الأرب للناس وكثرة مخالطتهم لهم وانتشارهم في الآفاق الإسلامية،فغلبت أحوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل وجذبته إليها جذبة قوية."[4]

ويتضح جليا "أن طبقة العلماء لم تكن تشكل أوروبا بالنسبة لها قيمة كبرى"[5]،وهذا راجع أساسا إلى التكوين الديني والثقافي والمرتبط أساسا بالدين، وضمن كوكبة العلماء الذين عارضوا كل تجديد ولم يعترفوا بالحقيقة العقلية ما لم يتضمنها النص الديني والشرعي القائم على أساس كتاب الله وسنة رسوله نجد كل من: عالم الراشيدية أبو رأس الناصري الجزائري، محمد بن محمود بن العنابي، بن سحنون الراشيدي.

ويعد العالم الراشيدي الجزائري أبو رأس الناصري من العلماء الذين عارضو بحزم كل جديد، ووقف بحزم ضد التدخل العسكري الفرنسي في مصر وذلك من خلال عبارات الاشمئزاز التي أطلقها في وصف تصرفات الجيش الفرنسي ضد الشعب المصري، و موقفه المعارض تحرير المرأة التي كانت تدعو إليه الثورة الفرنسية، و من التقاليد الأوربية كحفلات رأس السنة، وشعارات الثورة(الحرية- المساواة –

---

[3] بوغوفالة ودان، الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغاربية،مكتبة الرشاد، الجزائر، ص 131.

[4] بوغوفالة ودان، مرجع سابق، ص127.

[5] نفسه، ص36.

العدالة) وفي نظرة علماء الجزائر ما هي إلا مشروع استعماري صليبي ترعاه الثورة الفرنسية و من ورائها الكنيسة المسيحية.

ونفس هذا الرفض للأفكار الخارجية الوافدة صدرت عن ابن سحنون الراشيدي[6] عندما وصف أحداث الثورة الفرنسية سنة 1789م بأنها مجرد تمرد شعبي وأحداث عنف ضد الملك الفرنسي،ولم يدرك وهو العالم والفقيه في بلاط الباي وقصره، طابعها وأفكارها العالمية التي أحدثتها في أوروبا عامة وعلى الشعب الفرنسي خاصة الذي تبنى أفكارها ودافع عنها،وقدم التضحيات الجسام من أجل انتصارها وانتشارها في أنحاء العالم.

يرى ابن العنابي – كغيره من علماء عصره المحافظين- رفض السياسة العقلية عند الأوربيين ونظامهم السياسي لأنه"عقل غير ناضج " يقر بالشرك، ولكن لا حرج أن نتقرب منهم والاستفادة منهم، وأهتم اهتماما بالغا بالجانب العسكري والحربي على بقية المسائل الأخرى.

وفي هذا الخضم يقول العروي:" ينظر العلماء التقليديون إلى أوروبا من خلال النظرة إلى المسيحية ، وأن تعريف لأوروبا لا يكرس المسيحية كعملتها الثابتة، يتعذر لهم،لأن ذلك يعني إعادة النظر في مفهومهم لأوروبا، فهم يرفضون التنازل عن اعتقادهم."[7]

موقف أبو رأس من الأفكار الوهابية:

ظهرت الحركة الوهابية في الحجاز خلال القرن الثامن عشر(18م) ضد البدع والخرافات، بهدف تطهير الإسلام من الشوائب التي علقت به في هذه المنطقة التي كانت وجهة المسلمين من كل العالم الإسلامي.

سحنون الراشيدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973 ،ص224.[6]

A .LAROUI. Islam et modernité .Alger1989.[7]

تعتبر الدعوة الوهابية أول حركة من نوعها قامت ضد كل ما هو بدعة وخرافة التصقت بالممارسات الدينية الإسلامية وانحرفت بها عن الطريق الصحيح، وهي أول حركة دينية إصلاحية في البلاد العربية في العصر الحديث، "وتعتبر الأم لحركات الإصلاح السلفية التي ظهرت في العالم الإسلامي، وركيزة الكيانات السياسية الحديثة"[8].

وقف المغرب الأوسط موقف الرفض ومناهضة للدعوة الوهابية، بسبب طبيعة البنيّة الثقافية السائدة القائمة على أساس رصيد تاريخي هائل من التقاليد الطقوسية والاعتقادات الأسطورية غير المتحررة التي تقدّس الكرامات[9].

إن العلامة أبي رأس الناصري كان واحدا من علماء الجزائر الذين التقوا علماء الوهابية وتناظر معهم وذلك خلال حجه الثاني سنة1226ه في الحجاز وحكم عليهم حكما قاسيا، فقال: "ظني أنهم حنابلة المذهب."، و بعد المناظرة قال عنهم:"علمت أنهم خارجون على المذاهب الأربعة في الفروع، أما في العقائد فهم على ما عليه الإمام أحمد".[10]

وجاء في "فتح الإله ومنته": ...ولما ذهبت إلى الحج سنة1226ه/1811م لقيت علماء السلفية وهم تسعة علماء أكابر جماهير وأفضلهم الشيخ علي تاسعهم، فوقع لي معهم مناظرة ومباحثة واعتراضات وسؤلات وأجوبة فائقات ودلائل قاطعات وأحاديث مروية عن أكابر الأئمة من الأمهات، ثم تناظرنا بعد صلاة العصر"قبالة الحجر" في صلاة الفجر وقراءة دليل الخيرات والتسبيح "بالسبحة"، ومشاهدة السادات، وهدم مباني الأولياء، ذوي الكرامات، فرجعوا عن البعض بعد الاستدلال بالنصوص العظيمة، وكان ظني بهم حنابلة المذهب، ففاوضتهم في قصر

---

[9] أحمد آل علي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مطبوعات الجامعية الإسلامية بالمدينة المنورة، ص38.

[10] الناصري أبو رأس،فتح إلاله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1990، ص94.

"الصلاة" فقلت أن الإمام أحمد بن حنبل عنده نيّة إقامة أربعة أيام صحاح تقطع حكم السفر، فقالوا عندنا القصر لا ينقطع ما دام السفر، فعلمت أنهم خارجون عن المذاهب الأربعة في الفروع، وأما في العقائد فهم على ما هو عليه الإمام أحمد..[11]..

التعريف بأبي رأس الناصري الراشيدي الجزائري: توفي1240هـ/ 1824م.

يذكر أبو رأس عن نفسه في سيرته "فتح الإله ومنته": هو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل، وكنيته بأبي الطاهر كما يؤخذ ذلك من كلامه[12]وكلام تلاميذه ،وقيل أنه أشتهر بأبي رأس لضخامة رأسه، أو لكثرة وسعة معلوماته وسرعة حفظه.

إن أبا قد ضبط أسمه بالناصر، كما يذكر ذلك في مخطوط- زهر الشماريخ في علم التاريخ- فقال: "أما بعد فيقول المذنب القاصر محمد أبو رأس بن الناصر"[13]، وفي موضع آخر يقول: "قال أبو الفضل محي الدين محمد أبو رأس بن الناصر هذا ما تيسر لي جمعه من أخبار الأمم القديمة، في حين يذكر أسمه الناصري،في مواضع أخرى حيث قال: "ولهذا القطب نسبتنا الناصرية وعمدتنا الهاصرية[14]، يقصد بذلك جده الرابع وهو الناصر، وقال عن نفسه، وهو بصدد ذكر من كان من العلماء يفتي بالمذاهب الأربعة" ومؤلف هذا الكتاب محمد أبو رأس الناصري وفقه الله، بل إنه يسمى أحد شروحه الثلاثة على المقامات الحريرية "بالفتوحات الناصرية بمفتاح

---

[11] مصدر نفسه ،ص118

[12] أبو راس الناصري... فتح الإله، مصدر سابق، ص 25.

[13] المصدر نفسه، ص 3.

[14] نفسه، ص 27.

العلوم الحريرية"، وظل العلماء يصفونه بذلك، ومنهم محمد الحفناوي في كتابه" تعريف الخلف برجال السلف"[15].

كانت حياة أبي رأس، كلها عناء وجهاد، في طلب العلم وتحصيله، منذ نعومة أضافره، كما كانت كلها تقليد وتأثر، وكأنه يسير على خطى سلفه، فتأثر كثيرا، فحتى عندما هجر التأليف والكتابة وقت حروب درقاوة، وعاد إليها بعد الفرج كما ذكر، عاد إلى التأليف وتفرغ للكتابة ،ويخلص أبو رأس قائلا: "ولنا فيمن تقدم أسوة وأحسن قدوة، وكم من عالم عيق عن مراده وقداحة ظنه وإيراده وحيد عن أفكاره وإفتكاره، ثم أنزاح الحجاب لأولي الألباب ومنه الصواب. كان يفتي بالمذاهب الأربعة، إذ عد نفسه في جملة المفتيين بها، ويشهد بذلك تلميذه السنوسي، ويدل على ذلك أن الباي مصطفى بوشلاغم لما بنى له المكتبة بمعسكر، سماها ببيت المذاهب الأربعة. كل هذه المميزات أهلته لتولي وظائف كبيرة ومهمة.

أدرك بايات معسكر، مرتبة الاجتهاد الفقهي التي بلغها أبو رأس، خاصة وأنه يفتي بالمذاهب الأربعة، فقلدوه الفتوى، والقضاء، والخطابة، بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام 1205هـ/ 1791م، لأن حكام الأتراك كانوا حريصين أشد الحرص على تعيين القضاة بأنفسهم، ولأن القضاء من أهم الوسائل التي يتحقق بها القسط، وتحفظ الحقوق وتصان الدماء والأغراض.[16]

تولى أبو رأس وظيفة القضاء وهو غير متحمس لها، كما تحمس للتدريس من قبل، فهو يعلم تمام المعرفة ثقل المهمة، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تولية هذا

---

[15] **محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤف القاسمي الحسيني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991، ص167.**

[16] **يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، ج1، الجزائر، 2004، ص 133.**

المنصب فقال: "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين"،[17] كما أن القضاء يشغله عن التأليف، فإذا كانت شهرة سعيد المقري جاءت من أثره في التدريس فإن شهرة أبا رأس جاءت من أثره في التأليف[18]، وشملت مؤلفات أبي رأس أغلب الفنون النقلية والعقلية نذكر منها:

1. المعالم الدالة على الفرق الضالة.
2. الزهر الأكم في شرح الحكم.
3. فتح الإله في التوصل إلى حكم ابن عطاء الله.
4. الكتاب الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي.
5. كفاية المعتقد ونكابة المنتقد على شرح الكبرى.
6. إيضاح الغميس لشرح العقد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس.
7. أساس البنيان لشرح الجمان للشيخ عبد الرحمان.
8. كشف النقاب ورفع الحجاب على ترتيب حروف الهجاء للسان الدولة.
9. القول الأنفع في مناقب الأئمة الأربع.
10. الفتح القدوسي في شرح كبرى السنوسي.

-منهجه في الكتابة التاريخية: يعتبر أبو رأس الناصري واحداً من المؤرخين الجزائريين البارزين الذين اهتموا بالتدوين التاريخي، وأخبار الجزائر، والعالم العربي الإسلامي في الماضي والحاضر في أواخر العهد العثماني، كان من الضروري معرفة المنهج الذي اتبعه في مؤلفه "زهر المشاريخ في علم التاريخ".

---

[17] السيد سابق، فقه السنة، دار الكتاب العربي،ج3،ط1، لبنان، 1971، ص: 334- رواه أبو داود و الترمذي.

[18] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن10/14ه-16م/20م. 18المؤسسة.و.ك، الجزائر، 1985، ص1

الواقع أن أبا رأس الناصري لم يستحدث منهجا خاصا به، فهو كسابقيه من المؤرخين المسلمين، اتبع المنهج الذي أعتمد عليه أغلب المؤرخين القدامى، الذين كتبوا عن الدول والعهود مثل اليعقوبي والمسعودي[19]، ومع ذلك فإن هناك خصائص ومميزات لمنهج الكتابة التاريخية عند أبي رأس الناصري.

لقد أنتهج أبو رأس الناصري في مؤلفه منهجا واضحا حيث أعتمد على سرد الأحداث ونقل الأخبار، والروايات التاريخية، فقد كان ناقلا ومتتبعا للأخبار، معتمدا في ذلك على مصنفات من سبقه من المؤرخين، خاصة ابن خلدون، وشهاب الدين الجفاجي، والسيوطي والطبري، ومما يدل على نقل أبي رأس الناصري قوله: "قال ابن خلدون هذا ما بلغنا عن الروم من أول دولتهم من اليونان إلى الآن (يقصد بكلمة الآن إستيلاء آل عثمان على القسطنطينية).

لغته وأسلوبه: تمتاز لغته بالسهولة والوضوح، وهي لغة مميزة، ولعل ذلك يظهر في جميع مؤلفاته التاريخية الأخرى، حيث تجمع بين محتوى التاريخ، ومظهر الأدب في وقت واحد، إذ امتزجت فيه الرواية بالنقل، واصطبغت الحقائق بالعواطف[20].

ومع إتقانه للغة العربية، إلا أننا نجده يلجأ كثيرا إلى استعمال كلمات عربية بنطق عامي مثل: خزنوا ص:16، وحبس ص: 133، وأحرزه ص:137 والمزية ص:147، في حين يستعمل كلمات عامية مثل: البونبة، وغشيانهم ص:153، ومهنيين منصورين ص:160.

وجود بعض الأخطاء الإملائية مثل: الوفات – الوفاة، غظب – غضب، أولف – أللف، نساينا – نسيناه، تعلى – تعالى، الصورة – السورة، بميين – بملايين... كما لوحظ كتابة الألف مقصورة ألفا ممدودة مثل :الأقصى يكتبها الأقص، العظمى يكتبها العظما، وبنى يكتبها بنا، كما يحذف الهمزة في آخر الكلمة : ألقرا بدل القراء،

---

[19] **عبد العزيز الدوري سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية،ط1،بيروت ،ابنان،1986، ص92.**

[20] **نفسه، ص91.**

الأذوا – الأذواء، الشعرا – الشعراء، الأدبا – الأدباء، رؤسا – رؤساء، كما يحذف الهمزة إذا كانت في وسط الكلمة مثل: قبايل – قبائل،ماية – مائة، دايمة – دائمة،ويكتب الهمزة الممدودة على السطر كما يلي: الآف يكتبها ءالاف، آمين – ءامين، آخر – ءاخر، آدم – ءادم، وقد يزيد في حروف بعض الكلمات مثل اسويد عوضا عن سويد، بنوا – بنو، اشلف – شلف... والأمثلة من هذا القبيل كثيرة. ولا يثبت الهمزة وهذا تقريبا في كل المخطوط مثل: الأرض، أهل، إبراهيم، أرنخشد، الشان، كما يحذف الألف من بعض الكلمات كقوله: سليمن – سليمان ، هرون – هارون، وسلت – وسلات وعليه، نخلص إلى بعض الخصائص التي أتسمت بها لغة أبي رأس في مخطوطه ومنها:

إن التوظيف لبعض التعابير العامية والمفردات الدارجة شأنه في ذلك شأن علماء عصره سواء في المغرب أو في المشرق[21]. لجوء أبي رأس إلى استعمال بعض التراكيب اللغوية، تعبيرا عن واقع فرض نفسه في ذلك العصر، وهذا يوافق ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله، حين تعرض إلى هذه المسألة بقوله: "وأسلوب أبي رأس الناصري على العموم بسيط ويكاد يشبه العامي أحيانا، فهو ينقل كثيرا عن غيره."[22].

التزام أبو رأس بخصائص لغة وأسلوب عصره، فجاءت لغته تميل إلى المحسنات اللفظية مثل السجع، ويتجلى ذلك في مقدمة مؤلفه" زهر الشماريخ" حيث نجده يقول: "الحمد لله الذي لا يزال على تواريخ الدهور ولا يدون ولا لمشيئته وإرادته اضمحلال ولا عدول، وعزه دائم وأحوال ما سواه تحول، وإليه وإن طال المدى الرجوع وبين يديه المثول"، وفي المؤلفات التاريخية الأخرى. ففي مقدمة كتاب

---

[21] من المؤرخين الذين وظفوا التعابير العامية والمفرادات الدارجة في كتاباتهم، عبد الرحمان الجبرتي في كتب: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ومحمد بن عبد السلام الضعيف صاحب كتاب تاريخ الصفيف (تاريخ الدولة العلوية السعيدة)

[22] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ص 346.

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار نجده يقول :".... وعلى أهل المغرب الأوسط خاصة بفتح وهران وانجلاء أهل التثليث والأوثان على يد من أستظل الأنام بظل العدل والإحسان،وارتفعوا في رياض الأمن والأمان الباي سيدي محمد بن عثمان ملك تفرد بغاية المحاسن والمآثر، وجمع أشتات الفضل والمفاخر..."[23].

وفي مقدمة كتاب الحلل السندسية يقول: "... الحمد لله الذي نصر أولياءه وخذل أعداءه بسخطه وانتقامه... معلما بإكماله وإتمامه أمرنا باقتفائه وإتمامه"[24]، أما في مقدمة كتاب الخبر المعرب نجده يقول الصادر عن إرادته كل ما زان وشأن، الذي كل يوم في شأن الصادق في وعيده ووعده، القاهر للعدو وإفساد كيده.

وعلى الطباق كقوله: "الظلمات والنور" والأمثلة كثيرة في المخطوط خاصة في المقدمة.

وعليه، يمكننا القول، أن استعمال أبو رأس لأسلوب المحسنات البديعية في لغته، دليل على قدرته على اللغة، واتساع ثقافته اللغوية وإطلاعه على البلاغة العربية.

إن أهم ميزة تميز بها أبو رأس تمثلت في ملكة الحفظ مما تلقب به، فأعرب عنه في العديد من المواقف، وشكل الحفظ طريقته وأسلوبه في الكتابة والتأليف، وعمدته في الحديث مع الكتاب والمؤلفين، فلقب الحافظ الموسوعي يعتبر الخيط الناظم والفاعلية الحقيقية المحركة في طرح المسائل المختلفة، والاستشهاد بالآراء المختلفة للكتاب والمؤرخين، والإحاطة بشتى العلوم ونوادرها وشواردها.و بالإضافة إلى ما سبق، عرف أبو رأس الحافظ ب:

قوة الحفظ، والنقل، والرواية، وعدم الترتيب وهي الطريقة التي أعتمدها أبو الرأس في جميع مؤلفاته. من عدم كثرة المعلومات وتداخل الروايات تكرارها بسبب اعتماد الطريقة التقليدية.

---

[23] **أبو رأس الناصري، عجائب الأسفار... المصدر السابق، ص :2**

[24] **أبو رأس الناصري، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ترجمة وتعليق الجنرال فوريجي، إصدار مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، ص1.**

تسجيل الأحداث ورواية القصة مع استشهاد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأمثال والحكم ناقلا عن من سبقه من المؤرخين خاصة ابن خلدون[25]. اجتهاده في تعريف بعض المصطلحات لغة واصطلاحا، ولم يكتف بالتعريف فقط، بل يذكر آراء المؤرخين في ذلك، مثلا: وقف عند كلمة: قريش و التقريش الجمع، وقريش أيضا من التقرش وهو التجارة والاكتساب، أو اسم دابة عظيمة في البحر. - كما يشير إلى مصطلح النصرانية، فيذكر أقوال المؤرخين حول معناه، ومنهم:قول ابن خلدون: هي نسبة إلى ناصرة القرية التي كان فيها مسكن عيسى عليه السلام لما رجع من مصر مع أمه، ونصران من أبنيته المبالغة، ومعناه أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه، فهو دين من ينصره. ولم يقتصر اجتهاده على المصطلحات التاريخية دون غيرها، فالمصطلحات الأدبية والنحوية لقيت عند أبي رأس الناصري جانبا من الاهتمام، وكان لها نصيب من التعريف مع التوضيح والتفصيل، ففي أحاديث كثيرة، يستطرد في مسائل نحوية دعت إليها المناسبة أم لم تدع، كذكره لقاعدة المضاف والمضاف إليه، مستدلا بالقاعدة النحوية عند العجم، والتي فيها إضافة المضاف إليه للمضاف، فالصواب العكس، مشيرا إلى ما نص عليه الشيخ خالد الأزهري في حاشية على شرح الأجرومية.-التزامه بالأمانة العلمية في نقله من المصادر التي أخذ عنها، واهتمامه بآراء العلماء والمؤرخين الذين نقل عنهم، وإبراز آرائهم ومواقفهم ومناقشتها في بعض الأحيان بما يدعو إلى التأييد أو المخالفة، من ذلك ما ذكره عن ذي القرنين، حيث يورد أراء مجموعة من المؤرخين والعلماء نذكر منهم على سبيل المثال قول ابن الكثير، وابن عباس، وعطاء ابن السائب.

---

[25] ناصر الدين السعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي في المغرب الإسلامي"تراجم مؤرخي ورحالة وجغرافيين"، دار المغرب الإسلامي،ط1، بيروت،1999، ص334.

-إلمامه بما تقتضيه بعض المواضع، من الزيادة في التوضيح والإبانة، بغية كشف الغموض وذلك بعبارة: قلت الحديث هنا عن خصائص ومميزات البربر قبل وبعد الإسلام، مضيفا بأن جهادهم من أعظم الحروب التي وقعت مشيرا إلى دور يوسفبن تاشفين في معركة الزلاقة، أو بإجابته على الأسئلة التي ممكن أن تتبادر إلى ذهن القارئ.

لقد بلغت شواهده الشعرية مائتان واثنان وعشرين شاهدا معظمه منسوب، والقليل غير منسوب محيلا إليه بقوله: قال شاعرهم، أو قال الشاعر، وقال بعضهم، وكان في استشهاده بالشعر يذكر البيت تارة، وتارة أخرى يذكر مطلع القصيدة ببيتين أو ثلاث، وتارة يذكر القصيدة كاملة، بينما لم تبلغ شواهده من أنصاف الأبيات سوى ثلاثة شواهد.

-لم تنسب أبو رأس الأبيات الشعرية إلى أصحابها إلا نادرا، وكثيرا من هذه الشواهد مبثوثة في كتب البلاغيين والنحاة لذلك لم يكن من العسير نسبتها إلى قائليها. أما الآثار من الأحاديث والأمثال والأقوال، فالاستشهاد بها كان لها نصيب أوفر، فمن بين الأحاديث النبوية الشريفة التي استشهد بها أبو رأس قوله صلى الله عليه وسلم "أتركوا الترك ما تركوكم". أما الأمثال والأقوال فقد تعددت وتنوعت بتنوع المواضيع، فقد أوردها أبو رأس لأنها كانت تطلق من واقع الحياة، وكان العرب يحبونها ويولعون بها، لما تحتويه من إيجاز في التعبير وبلاغة في المعنى. ومن بين الأمثال التي أوردها أبو رأس: أبصر من زرقاء، وأغرب من عنقاء"، واغتنموا غضبة عمرو" و"يوم حليمة"[26].

---

[26] هي حليمة بنت الحارث الأعرج الغساني الجفني ملك الغوطة من أرض الشام الذي هزم المنذر بن المنذر ملك الحيرة، وسمي باسم حليمة لأنها عملت طيبا تعلم بها من يفر من الحرب، أو لتحريضها رجال أبيها على القتال في ذلك اليوم، ينظر: الزركلي، ج2، ص 301.

-إما طريقة استحضار الشواهد، والأمثلة، والحكم، والآيات، والأحاديث في الكتابة عند أبي رأس
الناصري، فهذا ليس بأمر جديد ابتدعه، فقد سبقه أغلب المؤرخين الموسوعيين مثله، وممن أخذ عنهم كابن خلدون، والمقري، والجاحظ وغيرهم من الحفاظ، بحيث يستحضرون الشاهد، من محفوظ المنقول والمعقول.و مما يمكننا استخلاصه أن علماء الجزائر العثمانية عارضوا كل تجديد ووقفوا في وجه جميع الأفكار الخارجية، ولم يعترفوا بالحقيقة العقلية ما لم يتضمنها النص الديني والشرعي القائم على أساس كتاب الله وسنة رسوله وخاصة تلك الأفكار القادمة من أوروبا لأنهم ينظرون إلى إليها من خلال النظرة إلى المسيحية، وهم بالتالي يرفضون التنازل عن اعتقاداتهم المحافظة.

قائمة المصادر والمراجع:

1- سحنون الراشيدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

2- الناصري أبو رأس، فتح إلاله و منته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1990.

3- // // الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، ترجمة وتعليق الجنرال فوريجي، إصدار مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر.

ب/ المراجع:

1-بوغوفالة ودان، الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغاربية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004.

2-أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، 1949.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن10/14ه،16/20م، م.و.ك.الجزائر،1985م.

4الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤف القاسمي الحسيني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
4- عبد العزيز الدوري سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية،ط1،بيروت ،لبنان،1986.
5- سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، دار المغرب الإسلامي، بيروت1999م.
- -باللغة الفرنسية:
- A .LAROUI. Islam et modernité .Alger1989